

برنامج: أنا وأنت على الطريق

إساءة معاملة الأطفال تترك آثارا سيئة في المخ

صديقتي المستمعة،

هل تعلمين سيدتي أن إساءة معاملة الأطفال قد تؤدي بهم إلى اضطرابات في نمو المخ؟ هذا ما جاء في تقرير مؤخرا أود أن أشاركك به نظرا لأهميته على حياتك و حياة عائلتك. قال علماء من أمريكا أن إساءة معاملة الأطفال يمكن أن تترك آثارا سيئة ملموسة في المخ. وقال العلماء تحت إشراف البروفسور مارتن تايشر في كلية طب هارفارد في دراستهم التي نشروا نتائجها مؤخرا في مجلة بروسيدينجز التابعة للأكاديمية الأمريكية للعلوم إن دراستهم التي شملت ١٩٣ بالغاً أوضحت أن حجم منطقة الفصين في المخ لدى الأشخاص الذين اشتكوا من إساءة معاملتهم في طفولتهم أصغر منها لدى أقرانهم الذين لم يعانون من المعاملة السيئة. ويرى العلماء أن هناك علاقة قوية بين منطقة الحصين بالمخ والمشاعر والذاكرة. فلقد فحص الباحثون ٧٣ امرأة و ١٢٠ رجلا في سن ١٨ إلى ٢٥ عاما وتمّ سؤالهم عما إذا كانوا تعرضوا في طفولتهم لعنف جسدي أو إساءة جنسية أو إهانات لفظية أو إهمال عاطفي وكذلك عن مدى تعرضهم لعوامل ضغط نفسي وعصبي مثل انفصال أبويهم أو أية مشاكل من هذا القبيل معهما. وأكد ٦٤ شخصا من بين المستطلعة آراؤهم أنهم لم يتعرضوا للإساءة في حين قال ١٦ منهم إنهم قد تعرضوا لثلاثة أشكال أو أكثر من أشكال العنف. إلى هنا ينتهي التقرير...

نعم يا سيدتي، إن إساءة معاملة الأطفال تؤدي إلى اضطرابات ليس في نمو المخ فحسب، بل في نواحي عديدة من الإنسان، من الناحية العاطفية والنفسية والعقلية كما وتؤثر على شخصياتهم وطريقة تفكيرهم . وربما تحدو بهم أيضاً إلى تصرفات غير متوازنة حين يكبرون. كم من مرة سيدتي سمعت عن أطفال صغار أُسيئت معاملتهم ، فتعرضوا للإهانة والضرب والتعذيب، فشبّوا يخافون من أشياء وهمية لا وجود لها. وكم من مرة سمعت عن آخرين تعرضوا للخوف والرعب في بيوت والديهم وعندما كبروا استولى عليهم الرعب من كل ناحية ومن كل شيء فانطوا على أنفسهم وانزروا في غرفهم وانفصلوا عن العالم الخارجي. فهل ترانا يا سيدتي ننتبه فعلا إلى أنفسنا ونحن نربي أولادنا وننشئهم؟ حتى يشبّوا في بيت مليء بالمحبة والحنان وليس العكس؟

هل تعلمين سيدتي أننا كسيدات وأمّهات نحن وكلاء على أولادنا ولا نملكهم؟ بمعنى أن الله تعالى وحين رزق الواحد منا طفلا ، قد أنعم عليها به لذا فهو عطية منه ونعمة كبيرة لنا كما قال النبي والملك سليمان في القديم: هوذا البنون ميراث من عند الرب ...

وبالطبع البنات. طوبى للذي ملأ جعبته منهم. ... ويقول أيضا في مكان آخر: طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طريقه. لأنك تأكل تعب يديك طوباك وخير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يبارك الرجل المتقي الرب.. (مز ١٢٧ و ١٢٨)

نحن كآباء وأمهات إننا موكلون من الله لكي نربي أولادنا وأطفالنا تربية صالحة إن كنا حقا كما وصفنا الكتاب المقدس نتقي الرب ونسلك في طريقه. لأن من يتقي الرب بحسب ما وصفت كلمة الله رب الأسرة أو ربة الأسرة هو الذي يخاف الله ويسلك في وصاياه. وعندها فإنهما لا بد أن يتصرفا كلاهما بحكمة وفطنة ودراية مع أولادهم فينشئونهم في جو من المحبة والعطف والحنان وليس العكس. ويعتنون بهم بالطريقة الصحيحة ولا يعرضونهم للأسى والحزن والغضب والألم والخوف والرعب والإيذاء أو الإساءة. اسمعي سيدتي أيضا ماذا يعلمنا الله تعالى في كتابه المقدس الذي كتب بوحي من روحه تعالى يقول عن الجواب اللين في معاملتنا مع أولادنا وحتى مع أي فرد من العائلة: الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجه يهيج السخط. لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة.

كما يعلم الكتاب المقدس يا سيدتي بأن نترأف على أولادنا أي نتعامل معهم بحنان وشفقة ورأفة وعطف فيقول مثلا : كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خاتفيه. (مز ١٠٣ : ١٣) فهل من المعقول أن يعامل الأب الحقيقي أولاده بغير الرأفة؟ هكذا أيضا الله الأب يترأف على كل الذين يعبدونه بالحق ويهابونه. ومهم جدا أيضا أن لا يغيظ الوالدون أولادهم فيحذرهم روح الله ويقول على لسان بولس الرسول: وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره. (أفسس ٦ : ٤) وأيضا: أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا. (كولوسي ٣ : ٢١)

إن من المهم جدا معاملة الأولاد باللين والعطف والرأفة والحب ، لكي يشبوا أصحاء نفسا وجسدا . ثم ماذا عن الروح صديقي؟ ألا تحتاج هي الأخرى إلى التوجيه إلى مخافة الله ومهابته ؟ فتعيش في سلام وطمأنينة في علاقة مع بارئها؟ لذا ينصح الأهلين أيضا بأن يهتموا بأمر خلاص أولادهم من دينونة الخطية وتوجيههم الصحيح إلى الله المحب والحنون. تماما كما كان لوط يفعل بعد أن أخبره الله تعالى من خلال الملاكين بأن الله سيحرق سدوم وعمورة بنار وكبريت كدينونة للخطية والشر اللذين فيهما.

وأمره أن يخبر أولاده حتى ينجوا هم أيضا من العقاب الإلهي. وهرب هو وزوجته وبناته إلى مدينة أخرى فنجوا. نعم يا سيدتي:
هل ترانا كأمهات نهتم أيضا بهداية أولادنا روحيا فنوجههم إلى الله المحب الذي أرسل الفادي المسيح لخلاصهم؟